المدارس في بيت المقدس

في العصرين الأيوبي والمملوكي

دورها في الحركة الفكرية

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

تأليف:

الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي

كلية الآداب - الجامعة الأردنية

الجزء الأول

نشر بدعم من الجامعة الأردنية

مكتبة الأقصى
عمان - الأردن

١٩٨١ م

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ـ تلفون ٣٧٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

تتناول هذه الدراسة الحديث عن دور المدارس في الحركة الفكرية ، في بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، أي منذ تحرير بيت المقدس من الاحتلال الصليبي في سنة ٥٨٣هـ ، حتى نهاية العصر المملوكي في سنة ٩٢٣هـ ٠

تصور هذه الدراسة الحركة الفكرية في بيت المقدس ، في ظل المدارس هناك ، وتركز على رسم صورة جلية لهذا الدور ، وتعمل على تشخيص عدد من معالم المدينة فكريا وحضاريا ، وبخاصة في هذا الوقت الذي تتعرض فيه معالم المدينة الاسلامية الحضارية والفكرية للتغيير والزوال من قبل العدو الصهيوني المحتل ٠

قامت هذه الدراسة للحديث عن المدارس في بيت المقدس : نشأة ، ومنهجا ، وموضوعات ، وكتبا ، وشيوخا ، ومدرسين ، ومعيدين ، وطلاب علم ، ودورا فكريا ، واجتماعيا ، سياسيا ، وأثرا في الثقافة الاسلامية ٠

لقد آثرت أن أرتب المدارس في بيت المقدس ترتيبا تاريخيا ، فأتحدث عن المدارس في العصر الأيوبي ، ثم المدارس في العصر المملوكي ، كما أتحدث عن المدارس في العصر الأيوبي مرتبة ترتيبا تاريخيا أيضا ، وكذلك الأمر في العصر المملوكي ٠

وكما تحدثت عن المدارس في بيت المقدس مرتبة ترتيبا تاريخيا ، وفق تاريخ انشائها ، فقد تحدثت عن الدور الفكري الذي قام به الشيوخ ، والمدرسون ، والمعيدون ، وفق ترتيب تاريخي أيضا ، فعندما تحدثت عن المدرسة الصلاحية مثلا ، عمدت الى توضيح دور كل شيخ من العلماء الذين تولوا مشيختها والتدريس فيها ، وقد بدأت بهذا منذ أن تولى أول

شيخ مشيخة المدرسة والتدريس فيها ، وانتهيت حتى أواخر العصر المملوكي ، فتبينت نحو ثلاثين شيخا من كبار العلماء الذين تعاقبوا على مشيخة هذه المدرسة والتدريس فيها ، وكذلك كان الأمر في تبين الدور الذي قام المعيدون به ، مرتبين ترتيبا تاريخيا · وهكذا استطعت رصد حركة التدريس في هذه المدرسة منذ انشائها حتى أواخر العصر المملوكي · وصنعت مثل هذا في الحديث عن دور المدارس الأخرى في بيت المقدس · وبهذا تبينت الشيوخ الذين تعاقبوا على كل مدرسة من المدارس منذ انشائها ، وتابعت شيوخها ، ومدرسيها ، ومعيديها ، واذا انقطعت سلسلة الشيوخ ، أو تسلسلهم ، وفق تاريخ توليهم المشيخة والتدريس ، أشرت الى ذلك ·

ومما يشار اليه في هذا المجال ، أنني لم أستطع أن أتبين بعض من درسوا في عدد من المدارس في بيت المقدس ، كأن أتبين شيوخ المدرسة ومدرسيها حتى أواخر القرن التاسع الهجري ، ولا أتبينهم بعد ذلك ، في أوائل القرن العاشر الهجري مثلا ، ويضاف الى هذا أنني لم أستطع أن أتبين من درسوا في عدد قليل من المدارس في بيت المقدس ·

لقد قصدت من هذا الترتيب التاريخي أن أتبين التطور في انشاء المدارس في بيت المقدس منذ سنة ٥٨٣هـ حتى سنة ٩٢٣هـ ، كما أتبين معالم التطور في الحركة الفكرية ، ودور المدارس في ذلك التطور الفكري ، وانعكاسه في المجالات الأخرى ·

ان الحديث عن المدارس في بيت المقدس ، ودورها في الحركة الفكرية ، في العصر الأيوبي ، لا ينتهي مع نهاية العصر الأيوبي ، فقد كان ينبغي أن تسير الدراسة حتى آخر العصر العثماني ، ولكنني توقفت عند نهاية العصر المملوكي ، ابتغاء للتحديد ، لتبحث المدارس في العصر العثمانى على حدة ·

كان من الممكن أن أتحدث عن المدارس في بيت المقدس وفق تقسيم موضوعي ، فتقسم المدارس الى مدارس الفقه ، ومدارس العربية ، ودور

القرآن ، ودور الحديث ، والمراكز الطبية ، وغير ذلك · ولكن مدارس الفقه مثلا ، لم تقتصر على تدريس مذهب فقهي فحسب ، بل كان بعضها يدرس العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم الرياضية ، وبعض العلوم العقلية ، فالمدرسة الصلاحية مثلا كانت تدرس العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم الرياضية ، والمنطق ، وعلم الكلام ، ولم يقتصر التدريس فيها على المذهب الشافعي الذي وقفت عليه · وعلى ذلك ، فانه لا يمكن أن تحصر هذه المدرسة على أنها مدرسة للفقه الشافعي فحسب ، وقل مثل هذا في المدارس الأخرى ·

وكانت هناك بعض المدارس مشتركة بين أكثر من موضوع واحد ، كأن يكون معهد علمي مشتركا بين النحو والقراءات ، ومن ذلك أنه عندما جدد الملك المعظم عيسى المدرسة النصرية ، جعلها لقراءة القرآن ، والاشتغال بالنحو ·

ولهذا كان الاتجاه الى الترتيب التاريخي في هذه الدراسة · ويضاف الى هذا ، أن مدرسة العربية (النحوية) أنشئت في القرن السابع الهجري ، وأن دور القرآن ، ودور الحديث ، أنشئت في القرن الثامن الهجري ، وبهذا عرفنا بعض المدارس وفق تجاهها الموضوعي ، من خلال الترتيب التاريخي الذي سرت عليه في هذه الدراسة ·

لقد ركزت هذه الدراسة على ابراز دور المدارس في بيت المقدس ، في الحركة الفكرية ، ولم تعن بالحديث عن الطراز المعماري لها ، أو ما يتصل بذلك ، فمجال ذلك رحب لدى الباحثين في علم الآثار ·

ومن خلال هذا التقسيم التاريخي ، قسمت هذا البحث الى أبواب ثلاثة ، يتحدث أولها عن حركة التدريس في بيت المقدس ، ويتحدث ثانيها عن المدارس في العصر الأيوبي ، ويتحدث ثالثها عن المدارس في العصر المملوكي ·

جاء الباب الأول في تمهيد وفصول ثلاثة ، ففي التمهيد أشرت الى نظام التدريس وطرقه ، واكتفيت بالاشارة الى ذلك تجنبا للتكـــرار ،

فقد تحدثت عنه مفصلا في كتابي « الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي » · وفي الفصل الأول تحدثت عن التدريس : موضوعاته وكتبه ، وفي الفصل الثاني تحدثت عن الشيوخ ، والمدرسين ، وطالبي العلم · وفي الفصل الثالث تحدثت عن الاجازات العلمية ·

وجاء الباب الثاني في فصول ثلاثة ، كان الأول منها في الحديث عن المدارس في بيت المقدس في القرن السادس الهجري ، وكان الثاني في الحديث عن المدارس في بيت المقدس في القرن السابع الهجري ، في العصر الأيوبي · وكان الفصل الثالث في الحديث عن الخوانق والزوايا في بيت المقدس في العصر الأيوبي ·

ولم يتطرق الحديث في الفصل الثالث الا الى الخوانق والزاويا التي كانت تؤدي رسالة تعليمية ، الى جانب كونها مراكز للتصوف · وقد كان لها دور في الحركة الفكرية ، شأنها شأن المدارس · ومن هنا كان المبرر للحديث عن هذه المؤسسات على أنها نوع من المعاهد العلمية ·

وجاء الباب الثالث في فصول أربعة ، تحدثت في الفصل الأول منها عن المدارس في بيت المقدس ، في القرنين السابع والثامن الهجريين ، وقد جمعت بين القرنين ، لأنني لم أجد الا مدرسة واحدة ، هي المدرسة الدوادارية ، أنشئت في القرن السابع الهجري ، في العصر المملوكي · وتحدثت في الفصل الثاني عن المدارس في بيت المقدس في القرن التاسع الهجري · ثم تحدثت في الفصل الثالث عن دور القرآن ، ودور الحديث ، في القرن الثامن الهجري ، في العصر المملوكي · وفي الفصل الرابع تحدثت عن الخوانق ، والزوايا ، والرباطات في العصر المملوكي ، وهي خوانق ، وزوايا ، ورباطات ، كان لها دور في الحركة الفكرية في بيت المقدس ، شأنها شأن غيرها من المعاهد العلمية ·

تنوعت مصادر هذه الدراسة ومراجعها بين الأدبية واللغوية ، والتاريخية والجغرافية ، وكتب التراجم والطبقات ، وفضائل البلدان ،

والتربية الاسلامية ، والفهارس ، والسجلات ، والخرائط ، وغيرها مما يبدو جليا في قائمة المصادر والمراجع في ختام هذه الدراسة ·

يضاف الى هـذا الرحلات الى بيت المقدس ، تلك الرحـلات التي شاهدت فيها بقايا المدارس هناك ، وهي آثار شاهدة على أصالة الحضارة الاسلامية ، والدور البارز الذي قامت به تلك المدارس في الحركة الفكرية ·

ولا بد من الاشارة الى دراسات سابقة حول المدارس في بيت المقدس ، ومنها ما كتبه فان برشم (Van Berchem) في مجلة المدرسة البريطانية للآثار بالقدس (Levant) ، ومنها : المدرسة الطشتمرية من منشورات ادارة الأوقاف الاسلامية بالقدس ، والمدرسة الطشتمرية ، وهو بحث قدمه جلال أسعد ناصر للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي عقد في الجامعة الأردنية ، ومنها : التربة الكيلانية ، وهو بحث منشور في مجلـة المدرسة البريطانيـة للآثار بالقدس لـ أريشبالد ويلز (Archibald Walls) ، والتربة الكيلانية ، وهو بحث ليوسف سعيد النتشة ، وعمائر قايتباي في بيت المقدس ، لجلال أسعد ناصر ، وهي رسالة ماجستير قدمها لكلية الآثار بجامعة القاهرة ، ومنها : معاهد العلم في بيت المقدس للدكتور كامل العسلي ، وقد قدم هذا البحث للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ·

وهذه دراسات ركزت غالبا على الدراسة في مجال الآثار ، وأشار كتاب « معاهد العلم في بيت المقدس » الى عدد ممن عملوا في مدارس بيت المقدس ·

وتأتي هـذه الدراسة لتنحو منحى يركز على الحركة الفكرية التي قامت بها هذه المدارس في بيت المقدس ، وهي متممة للدراسات السابقة ، فاذا انصبت عناية تلك الدراسات على مجالات أثرية غالبا ، فقد ركزت هذه الدراسة على ابراز الدور الفكري لهذه المؤسسات التعليمية ·

لقد قمت في هذه الدراسة بتعريف بالأعلام ، والأماكن ، والكتب حيثما وردت ، ولكنني لم أعرف بالعلماء الذين تحدثت عنهم بين شيوخ المدارس ، ومدرسيها ، ومعيديها ، وذلك اذا ورد ذكر لعالم من العلماء قبل الحديث عنه في المدرسة التي شارك في التدريس فيها ·

كما قمت بضبط ما يشتبه من الاسماء ، والأنساب ، والكنى ، والألقاب ٠

وتجدر الاشارة الى أن الشيخ أو المدرس ، اذا كان قد درس في أكثر من مدرسة ، وتحدثت الدراسة عنه حديثا يوضح دوره في الحركة الفكرية من خلال اشتغاله بالتدريس في مدرسة ما ، اكتفت هذه الدراسة بالحديث الموجز ، والاشارة الى الحديث الذي تقدم عن دوره في الحركة الفكرية ، وذلك عند الحديث عن الشيخ أو المدرس الذي درس في مدرسة ثانية فيما بعد ٠ وقد اكتفت الدراسة بذلك تجنبا للوقوع في التكرار ما أمكن ٠

ولا يسعني بعد كل هذا الا أن أتوجه بالشكر الى كل من أسهم في مساعدتي في هذه الدراسة ، وهم الدكتور عبد العزيز الدوري ، فقد كان خير موجه لي خلال كتابة الدراسة ، ثم قرأها كلها ، وأبدى ملاحظات قيمة أضافت الكثير اليها ٠ والدكتور عدنان البخيت مدير مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ، فقد زودني بالعديد من المخطوطات التي أثرت البحث وأغنته ٠ ومنهم الشيخ عكرمة صبري خطيب المسجد الأقصى، مدير الوعظ والارشاد بالضفة الغربية ، وخضر ابراهيم سلامة مدير مكتبة المسجد الأقصى ، والمهندس عصام حماد مدير دائرة الآثار في القدس، ومروان أبو خلف مدير المتحف الاسلامي بالقدس ، فقد زودني كل هؤلاء ببعض الدراسات ، والخرائط ، وقوائم الكتب في بعض المكتبات ، ودخلت معهم الى كل مدرسة باقية من مدارس بيت المقدس التي نتحدث عنها ٠

وارجو أن أكون قد وفقت في تشخيص ما قصدت اليه ، من تصوير لدور المدارس في الحركة الفكرية ، في بيت المقدس ، في العصرين الأيوبي والمملوكي ، والله الموفق ٠

الباب الأول

التـــدريس في بيت المقـــدس في العصرين الأيوبي والمملوكي